

الاحتجاج بأقوال علي رضي الله عنه

وأهل البيت على قواعد اللغة

د. عمرو سعد عواد (*)

المقدمة :

الحمد لله بديع السموات والأرض حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيده،
وأصلي وأسلم على نبيه الكريم محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الكرام
الطيبين.

وبعد فإن دراسة الشاهد في علم النحو تعد من الأصول التي يقوم عليها
ذلك العلم الشريف؛ ولذا تتبّع النحاة أقوال العرب ليستعينوا بها على استنباط
قواعد هذا العلم وتأصيلها.

وكان من بين تلك الشواهد الحديث الشريف وأقوال الصحابة الأكرمين،
لكن تلك الشواهد لم ترق إلى منزلة سائر شواهدهم لأسباب تم بسطها في غير
هذا الموضع ، وكان على رأس ما دفعهم إلى ذلك تشككهم في رواية الحديث
النبوي وأقوال الصحابة الكرام ؛ حيث نشأ علم النحو في أرض العراق ، ولم
تكن العراق آنذاك موطنًا خصبا للحديث النبوي ، بل انتشرت فيها الروايات
المكذوبة ، حتى نهى الأئمة عن أخذ الحديث من أرض العراق ، وحذروا من
رواية الحديث في العراق حتى ما صح منه !

(*) مدرس بالجامعة العربية المفتوحة - فرع الكويت (دكتوراه بالمرتبة الأولى في
الدراسات اللغوية والنحوية من جامعة عين شمس) .

== الاحتجاج بأقوال علي رضي الله عنه ==

فعلم النحو نشأ زمانا ومكانا في بيئة لا تصلح لحمل كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته وأهل بيته؛ فكان واجبا على النحاة آنذاك أن يبتعدوا عما انتشر في أرضهم من الروايات حذرا على صحة ضبط هذا العلم وليس زهدا فيه على ما ظنه من أخطأ عليهم من المتأخرين.

لكن في الوقت نفسه جمع أهل المدينة السنة الصحيحة في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز ، وأمضوا في ذلك أعواما، غير أن نحاة العراق الأولين لم يروا ما جمعه إخوانهم في المدينة من السنن، ولم يستفيدوا بها في علومهم، وكان ابتعاد الجيل الأول من النحاة عن تلك الروايات راجعا إلى الشك فيما بين أيديهم من الروايات، فأثروا السلامة على نحو ما صنع أبو حنيفة وأصحابه في الفقه، لكنهم لم يصرحوا — لا نحاة العراق ولا فقهاؤها — بالمنع من الأخذ بحديث رسول الله ﷺ وأصحابه شاهدا في اللغة ولا حجة في الفقه كما صرح من صرح من نحاة الخلف كابن الضائع وأبي حيان، وخالفهم آخرون كابن خروف وابن مالك، بل إن المالكي رفع شأن الحديث واتخذ الأصل الثاني بعد القرآن الكريم، مما عرضه لرد المانعين وانتقادهم الشديد، ودار بين الفريقين سجل طويل الذيل عميق السيل حشد كل فيه ما ظنه حقا في هذا الباب.

وليس بعيدا عن هذا النزاع مسلك الاستشهاد بأقوال أهل بيت الرسول ﷺ ؛ فقد وقع لدى طائفة من النحاة الاستشهاد بأقوالهم لا سيما ما نسب إلى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، والتصريح بتخصيص آل البيت بالاستشهاد بأقوالهم على قواعد اللغة، فتناولت المسألة تناولا علميا بمعزل عن أية توجهات دينية أو مذهبية قاصدا الوصول فيها إلى وجه الحق .

وقد سلكت في هذه الدراسة أربعة محاور :

أولا : عمدت إلى بيان القائلين بهذا المذهب المطموس من النحاة المتقدمين .

ثانيا : تطرقت إلى الخلاف الواقع في معرفة أهل البيت بين أهل القبلة.

ثالثا : بينت الطبقات التي قسم علماء العربية العرب إليها لمعرفة موقع أهل البيت فيهم من العرب الذين يحتج بكلامهم.

رابعا : أوردت طائفة من الشواهد التي أوردوها من كلامهم عليهم السلام، وجلبت الكلام في هذه المسألة لتحقيق الحق فيها، داعما ما ذهب إليه بالدليل؛ إذ لم تفرد هذه المسألة فيما وقفت عليه من دراسات بالبحث منفصلة.

ولم يكن لي من قصد سوى بيان وجه الحق في المسألة، والله تعالى أسأل أن يلهمنا الصواب في القول والعمل، وهو تعالى حسبنا ونعم الوكيل.

* *

أهل البيت وقواعد اللغة

قال البغدادي في الخزانة : " الصواب جواز الاحتجاج بالحديث للنحوي في ضبط ألفاظه، ويلحق به ما روي عن الصحابة وأهل البيت" (١) .

وظاهر كلام البغدادي التسوية بين الحديث المرفوع وما وقِفَ على الصحابة وما ورد من أقوال أهل البيت دون تفرقة، ويلحق هذه الشواهد ما لحق الحديث النبوي من الاعتراض بأن الروايات لم تنتقل كما سمعت من النبي ﷺ وبأن أئمة النحو المتقدمين من المصريين لم يحتجوا بشيء منه، وفي كليهما نظر؛ إذ النقل بالمعنى خلاف الأصل، وأئمة النحو المتقدمون من المصريين ثبت عنهم الاحتجاج بالحديث — وإن كان على قلة — كما حقق في غير هذا الموضع.

فأما إلحاق أقوال الصحابة رضي الله عنهم بالحديث الشريف فينبغي أن يشترط فيه الإقتصار على العرب منهم ، وإن كان هو هذا ظاهر المراد ؛ إذ لا يعقل أن يكون قاصدا صحة الاحتجاج بأقوال الصحابة من غير العرب على لغة العرب ! فإن قيل: إنهم يروون ما يسمعون من النبي ﷺ ؛ فالجواب أن ما يقع من كلامهم على سبيل الرواية داخل في عموم المرفوع من الحديث ، وأما ما لا يكون رواية عن الرسول ﷺ فينبغي أن يختلف حكمه؛ فإن كانوا من غير العرب فليس كلامهم صالحا للاحتجاج بإجماع، وإن كانوا من العرب فجمهور من نقلت أقوالهم من عرب الصحابة داخلون في عموم العرب الذين يحتج أهل الفن بأقوالهم بيقين لا يلحقه شك، غير أنهم داخلون في الخلاف المتقدم في الاستشهاد بكلامه ﷺ على نحو ما هو مبسوط في موضعه.

وأما إلحاق أهل البيت ففيه التفصيل الذي تدور حوله هذه الدراسة، فإن قال قائل: ألا تسلم بما تقدم من كلام البغدادي مع استطالة منافحته عنه ؟ قلت: لا أسلم بما تضمنه من العموم المحتاج إلى تفصيل.

وبادئ ذي بدء لا بد من الوقوف على من يصح وصفهم بأنهم آل البيت؛ إذ لا يصح الكلام في حكمهم دون تحديد ماهيتهم.

الأهل في اللغة : ورد في لسان العرب: أهل الرجل عشيرته وذو قرياه، والجمع أهلون وأهال، وأهل الرجل: زوجه، وتأهل يعني تزوج وأهل القرآن حفظته والعاملون به، وأهل المذهب من يدين به ، وأهل الإسلام من يدين به ، وأهل البيت سكانه ، وأهل الرجل أخص الناس به^(١).

الخلاف حول أهل بيت النبي ﷺ

ثمة اختلاف بين الطوائف الإسلامية حول أهل بيت الرسول ﷺ ، فبينما يؤكد أهل السنة أنهم نساؤه وبناته وبعض أقاربه، يعتقد الشيعة أن أهل البيت فقط هم علي بن أبي طالب وفاطمة بنت محمد وذريتهما.

أهل البيت عند أهل السنة و الجماعة : أهل بيت النبي ﷺ أزواجه وبناته وصهره، وقيل: نساء النبي والرجال الذين هم آله، وآل الرجل أهله، أصلها أهل، ثم أبدلت الهاء همزة فصارت آل، فلما توالى الهمزتان أبدلوا الثانية ألفا.

ويستشهدون على هذا بآيات من القرآن الكريم، ففي سورة الأحزاب : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣) وَانْكِرْنَ مَا يَتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا (٣٤) ﴾^(٢).

(١) لسان العرب : (٢٨/١١).

(٢) الأحزاب: [٢٨-٣٤].

== الاحتجاج بأقوال علي رضي الله عنه ==

ويعتقدون أنها نزلت في نساء النبي، أما حديث الكساء فقد أضاف آل علي رضي الله عنه لآل البيت، فعن عائشة رضي الله عنها : خرج النبي غداة وعليه مرط مرحّل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال : ﴿... إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (١) (٢) ، ورواه أيضا البيهقي في السنن الكبرى (٣) .

وفي مسند أحمد عن أم سلمة قالت : فأدخلتُ رأسي البيت فقلت: وأنا معكم يا رسول الله ؟ قال: " إنك إلى خير، إنك إلى خير" (٤) ، وهو مروي من طرق أخرى، وصححه الأرناؤوط في تخريج المسند.

ويفسرون منع إدخال أم سلمة مع آل علي تحت الكساء بأن علي بن أبي طالب ليس محرماً لها فمنعها النبي ﷺ لهذا، ودار جدل بين أهل السنة والشيعة حول دخول أزواج الرسول ﷺ وبقية بناته وأعمامه وأولاد أعمامه الذين آمنوا؛ فالشيعة يقولون: إن هؤلاء ليسوا من أهل البيت لأنهم لم يكونوا تحت الكساء، ويرد أهل السنة إنه لم يكن تحت الكساء أيضا لا الجواد ولا الباقر ولا العسكري ولا بقية الأئمة التسعة الذين تدخلونهم أنتم في أهل البيت، ويرون أنه ليس في هذا الحديث أن آل البيت هم حكر فقط على اثني عشر شخصا.

قال ابن تيمية في منهاج السنة : "جميع بني هاشم داخلون في هذا" (٥) .

(١) [الأحزاب: ٣٣].

(٢) صحيح مسلم (٢٤٢٤/٤) (١٨٨٣).

(٣) السنن الكبرى (٢١٢/٢)

(٤) مسند أحمد (٢٦٥٠٨) (١١٨/٤٤).

(٥) منهاج السنة النبوية : (٢٣٩/٧).

وليس ثمة اتفاق عند أهل السنة على تحديد المراد بأهل البيت، بل لهم في ذلك أقوال، فمنهم من قال : هم أزواجه وذريته وبنو هاشم وبنو عبد المطلب ومواليهم، ومنهم من قال: أزواجه ليسوا من أهل بيته، وقال جماعة: إنهم قريش، ومنهم من قال: هم الأتقياء من أمته، وقيل: هم أمة محمد ﷺ جميعاً.

أما أزواج النبي ﷺ فالقول الراجح أنهن يدخلن في آل بيت النبي ﷺ لدخولهن في آية التطهير المتقدمة، ومما يدل على دخول الأزواج في الآل قول الملائكة لسارة زوج إبراهيم عليه السلام: ﴿ رَحِمْتَ اللَّهَ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾^(١) ، ولأنه استثنى امرأة لوط من آل لوط عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا امْرَأَتَهُ ﴾ ؛ فدل على دخولها في الآل^(٢).

وأما آل المطلب فقد جاء في رواية عن الإمام أحمد أنهم منهم، وهو قول الإمام الشافعي أيضاً، خلافاً لأبي حنيفة ومالك ، ومما يدل على دخولهم حديث : "إِنَّمَا بَنُو الْمُطَّلَبِ وَبَنُو هَاشِمٍ شَيْءٌ وَاحِدٌ"^(٣).

ويدخل في آل البيت بنو هاشم بن عبد مناف، وهم آل علي، وآل عباس، وآل جعفر، وآل عقيل، وآل الحارث بن عبد المطلب؛ جاء ذلك فيما رواه الإمام أحمد عن زيد بن أرقم في تفسير آل البيت ، قَالَ: " هُمْ آلُ عَلِيٍّ وَآلُ عَقِيلٍ وَآلُ جَعْفَرٍ وَآلُ عَبَّاسٍ "، وسئل : أَكُلُّ هَؤُلَاءِ حُرِّمَ الصَّدَقَةِ ! قَالَ: نَعَمْ"^(٤).

(١) [هود: ٧٣].

(٢) [الحجر: ٥٩-٦٠].

(٣) البخاري (٣١٤٠)(٩١/٤)، ورواه أيضاً البيهقي في السنن (١٢٩٥١)(٥٥٤/٦)، وفي المعرفة (١٣١٠٩)(٢٦٧/٩)، وأبو نعيم في الحلية (٦٦/٩)، والطبراني في الكبير (١٥٤٠)(١٢٦/٢).

(٤) مسند أحمد (١٩٢٦٥)(٣٢/١٠-١١).

===== الاحتجاج بأقوال علي رضي الله عنه =====
قال الأرناؤوط: "إسناده صحيح على شرط مسلم"، ثم أورد له طرقاً كثيرة، وهو نص على دخول النساء في الآل.

وأما الموالى فيدخلون في الآل لحديث: "مَوَالِي الْقَوْمِ مِنْهُمْ"^(١).

فصح أن آل بيت النبي ﷺ عند أهل السنة هم: أزواجه وزريته وبنو هاشم وبنو عبد المطلب آل العباس وعقيل وعلي وجعفر ومواليهم، وكذا كل نسل الحسن بن علي والحسين بن علي وعبد الله بن عباس ومحمد بن الحنفية والعباس بن علي، وتلقب ذريتهم بالأشراف والسادة.

وعند أهل السنة واجبات مفروضة نحوهم مثل الصلاة عليهم وحبهم ومودتهم، كما قال تعالى: ﴿قُلْ لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾^(٢).

أهل البيت عند الشيعة

يعتقد الشيعة الاثنا عشرية أن أهل البيت فقط هم من خصهم حديث الكساء المتقدم؛ فلديهم مفهوم عام باسم (أهل البيت) يندرج تحته كل من حرمت عليه الصدقة من بني هاشم، ويختلف عن مفهوم أهل البيت في آية التطهير فإنه مفهوم خاص فقط بأولئك الذين جللهم النبي صلى الله عليه وآله بالكساء ودعا لهم بقوله: "اللهم هؤلاء أهل البيت فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا"، وقد خاطبهم بالآية الكريمة وذلك للنصوص الصريحة والصحيحة عندهم التي تثبت تخصيص مفهوم أهل البيت في آية التطهير بهؤلاء فقط عليهم السلام.

(١) رواه أحمد (١٥٧٠٨) (٤٧٨/٢٤)، وابن أبي شيبة (١٠٧١٠) (٤٢٩/٢)، وقال الأرناؤوط في تخريج المسند: "حديث صحيح بشواهده، وهذا إسناد حسن" (٤٧٨/٢٤).

(٢) [الشورى: ٢٣].

ومفهوم أهل البيت في هذه الآية عندهم لا علاقة له بنساء النبي صلى الله عليه وآله لأن الآية خاصة بأهل البيت بهذا المصطلح النبوي ولم تنزل في الزوجات ولا تختص بهن ولا تشملهن^(١).

وإخراج أزواجه ﷺ من جملة الآل مما نوزعوا فيه لتعارضه مع سياق النص القرآني الوارد في نساء النبي ﷺ خاصة بدلالة قوله تعالى في السياق نفسه : ﴿وَأَذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾^(٢) فمنهم من خص نساءه ﷺ بذلك ؛ قال عطاء وعكرمة وابن عباس: هم زوجاته خاصة، لا رجل معهن، وذهبوا إلى أن البيت أريد به مساكن النبي ﷺ^(٣).

قال الزجاج : "قيل: إن أهل البيت ههنا يعنى به نساء النبي ﷺ ، وقيل: نساء النبي ﷺ والرجال الذين هم آله، واللغة تدل على أنه للنساء والرجال"^(٤).

ولا شك أن قصر المعنى على النساء مما يشكل ؛ إذ لو أراد النساء فقط لقال إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس^(٥).

وهو إشكال أجاب عنه الآمدي في الإحكام قال: " إنما قال: (عنكم) لأن أول الآية وإن كان خطابا مع الزوجات غير أنه لما خاطبهن بأهل البيت أدخل معهن غيرهن من الذكور^(٦).

(١) انظر الرد النفيس لحسن العماني : ٦٩.

(٢) [الأحزاب: ٣٤].

(٣) تفسير القرطبي : (١٨٢/١٤).

(٤) معاني القرآن وإعرابه : (٢٢٦/٤).

(٥) انظر المحصول للرازي : (٢٤٣/٤).

(٦) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي : (٤٣/١).

== الاحتجاج بأقوال علي رضي الله عنه ==

وثمة رواية تقطع دابر هذا الخلاف عن أم سلمة قالت : يا رسول الله ،
أأنت من أهل البيت ؟ قال : "بلى إن شاء الله" (١) (٢) .

لكن كتب الشيعة تتضمن الرواية بغير هذا اللفظ، فلم يسلموا بتصريح
الرواية بإدخال الأزواج في الآل ، ولم يقف الأمر عندهم على استبعاد أمهات
المؤمنين من جملة آل البيت، بل بالغ من غلا منهم في أمرهن حتى تجاسر
على الطعن فيهن إلى حد إخراجهن من الملة !!؛ روى المجلسي في بحار الأنوار
عن الصادق (٣) في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا﴾ (٤) :
"هي حفصة، قال الصادق ع: كفرت في قولها مَنْ أَنْبَأَكَ هذا وقال الله فيها وفي
أختها إِنَّ تَتَوْبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا أي زأغت والزيف الكفر" (٥) ! ومناقشة
هذا التوجه — مع ما فيه من زيف وزغل — خارجة عن مقصود هذا البحث.

فهم يفرقون بين الأهل والآل ، ويجعلون لمعنى الأهل في اللغة دلالة
بمعزل عن معنى الآل في الشريعة، وهم علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء
والحسن والحسين وباقي الأئمة الاثني عشر المعصومين لدى الاثنا عشرية،
أورد المجلسي في بحار الأنوار عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه سئل
عن معنى قول رسول الله ﷺ : "إني مخلف فيكم التقلين كتاب الله وعترتي من

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٢٨٦١) (٢/٢١٤) ، ، وقال بعده : "قال أبو عبد الله:
هذا حديث صحيح سنده ثقات رواته، قال الشيخ: "وقد روي في شواهد، ثم في
معارضته أحاديث لا يثبت مثلها، وكذا رواه البغوي في شرح السنة (٣٩١٣) (١٤/١١٧)،
وقال: " هذا حديث صحيح الإسناد".

(٢) انظر : تأويلات أهل السنة لأبي منصور الماتريدي : (٣٨٢/٨).

(٣) رمز (ع) في كتبهم اختصار (عليه السلام).

(٤) [التحريم : ٣].

(٥) بحار الأنوار لدرر أخبار الأئمة الأطهار : (٢٤٦/٢٢).

العترة ؟ فقال : " أنا والحسن والحسين والأئمة التسعة من ولد الحسين تاسعهم مهديهم وقائمهم لا يفارقون كتاب الله ولا يفارقهم" (١) .

وفي كتبهم الكثير من الأحاديث التي تثبت هذا، وترجع أهمية أهل البيت عند الشيعة أن فيهم الأئمة المعصومين الذين هم الحكام المختارون من الله لقيادة المسلمين بعد وفاة النبي ﷺ ، كما أن محبتهم واجبة والحزن لأحزانهم واجب، ولعن أعدائهم كذلك ، بل في كتبهم التصريح بما هو أبعد من ذلك ، حتى أوصلهم الإفراط في تقديسهم إلى التصريح بأنهم أفضل من الملائكة ؛ قال الشيخ الصدوق في المجلس الثالث والتسعين من أماليه : "جميع الأنبياء والمرسلين والأئمة ع أفضل من الملائكة وأنهم معصومون مطهرون من كل دنس ورجس لا يهمون بذنب صغير ولا كبير ولا يرتكبونه وأنهم أمان لأهل الأرض" (٢) .

لهذا يرفض الاثنا عشرية دخول أي شخص آخر في أهل البيت.

وأما الذي يعنينا في مقام هذا البحث فهو أن آل البيت ليسوا محصورين في زمن الاحتجاج على المذهبين لخروج من يصدق عليهم هذا الاسم — عند الفريقين — عن حد الاحتجاج اللغوي المتفق عليه عند أهل هذا الفن؛ فأخر من يحتج بشعره إبراهيم بن هرمة؛ قال أبو الحسن الأخفش: قال لنا ثعلب مرة إن الأصمعي قال: "ختم الشعر بإبراهيم بن هرمة وهو آخر الحجج" (٣) ، وابن هرمة هو أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر الفهري ، وكان مولده سنة سبعين، ووفاته في خلافة الرشيد بعد الخمسين ومائة تقريباً.

(١) بحار الأنوار : (٢٥/٢١٥).

(٢) أمالي الشيخ الصدوق : (١/٦٣٩).

(٣) تاريخ بغداد : (٦/١٣٠).

== الاحتجاج بأقوال علي رضي الله عنه ==

أما آل البيت ؛ فقد امتد أئمتهم إلى منتصف القرن الثالث الهجري وذلك بعد نهاية عصر الاحتجاج اللغوي بأكثر من مئة عام !

العرب الذين يحتج بكلامهم

قسم العلماء كلام العرب الذي يستشهد به على طبقات أربع:

الطبقة الأولى : الشعراء الجاهليون وهم قبل الإسلام كامرئ القيس والأعشى.

الطبقة الثانية : المخضرمون ، وهم الذين أدرکوا الجاهلية والإسلام كلبيد وحسان.

الطبقة الثالثة : المتقدمون ويقال لهم الإسلاميون، وهم الذين كانوا في صدر الإسلام كجرير والفرزدق.

الطبقة الرابعة : المولدون ويقال لهم المحدثون وهم من بعدهم كبشّار بن برد وأبي نواس.

فالتبقتان الأوليان يستشهد بشعرهما إجماعاً ، والثالثة يستشهد بشعرها على الصحيح كما ذكر البغدادي، والرابعة لا يستشهد بكلامهم مطلقاً، ولا يعتد بما نسب إليهم كنقل في اللغة^(١) ، قال الأنباري في اللع: "النقل هو الكلام العربي الفصيح الخارج عن حد القلة إلى حد الكثرة ، وعلى هذا يخرج ما جاء من كلام العرب المولدين وغيرهم"^(٢) ، إلا ما نقل عن الزمخشري ومن تبعه في جواز الاستشهاد بمن يوثق به منهم ، وقد نوزع في ذلك ، والصواب أنه غلط فيما ذكر^(٣) .

(١) انظر الخزانة : (٢٩/١).

(٢) لمع الأدلة : (ص ٢٨).

(٣) انظر الخزانة : (٣١-٣٠/١).

ووجه إسقاط ما نقل عن الطبقة الرابعة هو ضياع علة الاستشهاد الأصيلة وهي خلوص العربية ، فأهل اللغة صاروا بعد ذلك يميزون بين عربي النسب وعربي اللسان ، واسم العرب في الأصل كما قال شيخ الإسلام كان اسما لقوم جمعوا ثلاثة أوصاف :

أحدها : أن لسانهم كان باللغة العربية.

الثاني : أنهم كانوا من أولاد العرب.

الثالث : أن مساكنهم كانت أرض العرب، وهي جزيرة العرب التي هي من بحر القلزم إلى بحر البصرة، ومن أقصى حجر باليمن إلى أوائل الشام بحيث كانت تدخل اليمن في دارهم ولا تدخل فيها الشام، وفي هذه الأرض كانت العرب حين البعث وقبله، فلما جاء الإسلام وفتحت الأمصار سكنوا سائر البلاد من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب، وإلى سواحل الشام وأرمينية ، وهذه كانت مساكن فارس والروم والبربر وغيرهم، ثم انقسمت هذه البلاد قسمين: منها ما غلب على أهله لسان العرب حتى لا تعرف عامتهم غيره، أو يعرفونه وغيره مع ما دخل على لسان العرب من اللحن، وهذه غالب مساكن الشام والعراق ومصر والأندلس ونحو ذلك، وربما كانت أرض فارس وخراسان هكذا قديما كما قال ابن تيمية ، ومنها ما العجمة كثيرة فيهم أو غالبية عليهم كبلاد الترك وخراسان وأرمينية وأذربيجان ونحو ذلك ، فهذه البقاع انقسمت إلى ما هو عربي ابتداء وإلى ما هو عربي انتقالا، وإلى ما هو عجمي ، وكذلك الأنساب انقسمت ثلاثة أقسام:

١. قوم من نسل العرب ، وهم باقون على العربية لسانا ودارا، أو لسانا لا دارا، أو دارا لا لسانا.

== الاحتجاج بأقوال علي رضي الله عنه ==

٢. وقوم من نسل العرب، بل من نسل بني هاشم، ثم صارت العربية لسانهم أو دارهم أو أحدهما.

٣. وقوم مجهولو الأصل لا يدرون أمن نسل العرب هم أم من نسل العجم ، سواء كانوا عرب الدار واللسان أو عجماء في أحدهما، ذكر هذا الشيخ تقي الدين بن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم (١) .

على هذا الذي ذكره فقد صار جماعة منسوبين إلى العرب بل إلى أخلصهم عربية ومع هذا يتكلمون بلسان العجم لانقسام العربية نسبا وبلادا ودارا ، فوجب أن يتوقف الاستشهاد عند الحد الذي نعلم باليقين أو بالظن الراجح أنه لم يتناوله هذا الانقسام.

وعليه أيضا فما تقدم من كلام البغدادي من إلحاق أهل البيت في جملة من يحتج بأقوالهم — وهو المذهب الذي اختلقه الرضي الإسترأبادي — لا مستند له ؛ فأهل البيت وإن كانت تثبت لهم المكانة الدينية والفضيلة القدسية ، فإن جعل أقوالهم شواهد على اللغة وقواعدها ليس بسديد ؛ إذ ليس هذا الباب مما تثبت فيه الحجة بالفضيلة ؛ فقد يكون الرجل من العابدين الزاهدين الأتقياء الصالحاء ولا يكون كلامه حجة في اللغة، في حين قد تثبت بكلام رجل نمرود من عتاة الكفر أو فاسق خليع أو أحد صناديد الضلال ، وربما يقال : إن هذا الباب لا فرق فيه بين كلام أبي بكر رضي الله عنه وكلام أبي جهل، فمتى توافرت في الرواية شروط الاحتجاج قبلت ، لا اعتبار لنقوى من نقلت عنه أو ضلاله — في حين تجب عدالة الراوي على نحو ما تقدم — ، وآل البيت لهم سلالة نسب تمتد إلى عصور لا احتجاج بكلام أهلها اتفاقا ، بل لهم سلالة نسب تنسب إلى العربية دارا لا لسانا كما تقدم من كلام ابن تيمية ، فإن كان الرضي

(١) انظر اقتضاء الصراط المستقيم : (ص ١٦٤ — ١٦٧).

ومن تابعه يعنون بآل البيت من كان منهم في عصر الاحتجاج ، فلا فائدة ولا معنى لتخصيصهم دون غيرهم ، بل لا أجد ما يؤنس به إلى تقديم أقوالهم على أقوال غيرهم في هذا الباب ؛ لأنهم حينئذ تثبت حجية أقوالهم وحجية أقوال غيرهم ممن عاصروهم واشترك معهم في علة قبول قوله من عامة المسلمين وغيرهم ، وإنما توجه الاعتناء في مقام الاستشهاد وما يناظره بأقوال طائفة مخصوصة من المسلمين لأنه قد توفرت الهمم والدواعي لدى أهل العدالة على نقل أقوالهم دون غيرهم ؛ فقد جمع الناس أقوال أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم من الصحابة الكرام ، في حين لم يبال أحد بما قاله أبو جهل والوليد بن المغيرة وأمّية بن خلف وغيرهم من أهل الشرك ؛ إذ لم يكن هؤلاء يجالسون أهل العدالة الذين نشطوا إلى نقل ما قالوا كما كان حظ الصحابة ، ولو نقلت عنهم لافتقرت إلى شروط عدالة النقل التي هي أصل أصيل في هذا الباب ، إلا أن أقوالا يسيرة قد نقلها عنهم المسلمون لا تستوجب العناية التي استوجبها كلام الصحابة رضي الله عنهم لكثرة النقل وثبوته.

استشهاد الرضي بأقوال علي رضي الله عنه

أول من عرف عنه تمرير أقوال أهل البيت للاستشهاد بها هو رضي الدين الإسترابادي في شرحه على كافية ابن الحاجب ، وعلى الرغم من انتصار البغدادي له في جملة كلامه ، فإن الذي تشهد به كتب النحاة المتأخرين عنه أنهم أهملوا طريقته التي تقرّد بها في هذا الباب.

وقد أكثر الإسترابادي من الاستشهاد بالكلام المنسوب إلى علي رضي الله عنه على النحو الذي ورد به كلامه في كتب أئمة الشيعة ، فنقل عنه في شرح الكافية العديد من الشواهد ينقل عامتها من نهج البلاغة على الأخص.

== الاحتجاج بأقوال علي رضي الله عنه ==

استشهد على أن حذف الخبر بعد واو المعية غالب لا واجب بقوله رضي الله عنه : "وأنتم والساعة في قرن واحد" ^(١) ، ونقله عنه الأشموني في شرح الألفية ^(٢) ، وهي رواية في نهج البلاغة بغير لفظ (واحد) ^(٣) ، ونقلها المجلسي في بحاره ^(٤) .

واستشهد على عدم وجوب حذف عامل المفعول المطلق في نحو (سقيا) و(رعيا) و(حمدا) و(شكرا) ما لم يأت بعدها ما يبينها ويعين ما تعلقت به بقوله رضي الله عنه : " نحمده على عظيم إحسانه ونير برهانه ونوامي فضله وامتنانه حمدا يكون لحقه أداء " ، هكذا أورده الرضي بلفظ أداء ^(٥) ، وهي في النهج بلفظ "قضاء" ^(٦) ، وهكذا الرواية في بحار الأنوار ^(٧) .

واستشهد على عدم اشتراط تشارك المفعول له مع فعله في الفاعل بقوله ﷺ : " فأعطاه الله النظرة استحقاقا للسخطة واستتماما للبلية" ^(٨) ، وهي هكذا في النهج ، وفي البحار ^(٩) .

واستشهد على تعلق جارين باسم التفضيل، وفرع عليه جواز تعلق حالين به في نحو قولك: زيد أحسن قائما منه قاعدا بقوله ﷺ : "والله لابن أبي طالب

(١) شرح الكافية : (٢٨٣/١).

(٢) شرح الأشموني : (٣٣/١).

(٣) نهج البلاغة : (٢٨١/١) و(٤٣٩/١).

(٤) بحار الأنوار : (٢٠٧/٧).

(٥) شرح الكافية : (٣٠٦/١).

(٦) نهج البلاغة : (٢٦٠/١).

(٧) بحار الأنوار (٣١٣/٤) و(١٢٤/٣٤).

(٨) شرح الكافية : (٥١١/١).

(٩) نهج البلاغة : (٤٢/١) ، والبحار : (١٢٢/١١) و(٢١٦/٦٠) و(٣٠٥/٧٤).

د. عمرو سعد عواد

أنس بالموت من الطفل بثدي أمه^(١) ، وهي بهذا اللفظ في النهج^(٢) ، ونقلها المجلسي في عدة مواضع^(٣) .

واستشهد على مجيء التمييز بعد (يا له) ونحوها من مواضع التعجب بقوله ﷺ " يا له مراما ما أبعده "^(٤) ، وهي هكذا في النهج والبحار^(٥) .

واستشهد على أن الأولى أفراد التمييز وعدم مطابقتها لما انتصب عنه أفرادا وتنثية وجمعا إن لم يلبس بقوله ﷺ : " فطيبوا عن أنفسكم نفسا "^(٦) ، وهي في النهج بلفظ "وطيبوا"^(٧) ، والرواية أوردتها المحدث النوري في مستدرک الوسائل، وعبد الواحد الآمدي في غرر الحكم ، وكافي الدين الواسطي في عيون الحكم ، والمجلسي في البحار^(٨) .

واستشهد على جواز مجيء الواو في خبر كان بغير إلا تشبيهها بالحالية بقوله ﷺ : " قد كنت وما أهدد بالحرب "^(٩) ، وهي في النهج في عدة مواضع في بعضها: "لقد كنت"^(١٠) ، ورواها الكليني في

(١) شرح الكافية : (٣٨/٢).

(٢) نهج البلاغة : (٥٢/١).

(٣) بحار الأنوار : (٢٣٤/٢٨) و(١٤١/٢٩) و(٥٧/٧١) و(٣٣٤/٧٤).

(٤) شرح الكافية : (٦٠/٢).

(٥) نهج البلاغة : (٣٣٨/١) ، والبحار (٤٣٤/٧٤) و(١٥٦/٧٩) و(١٥٨/٧٩).

(٦) شرح الكافية : (٦٨/٢).

(٧) نهج البلاغة : (٩٧/١).

(٨) مستدرک الوسائل (٨٤/١١) ، و غرر الحكم (٣٣٤/١) ، و عيون الحكم (٣١٨/١) ،

وبحار الأنوار (٥٥٧/٣٢) و(٦٠٢/٣٢) و(٣٣٨/٧٤) و(٤٠/٩٧).

(٩) شرح الكافية : (١٠٣/٢).

(١٠) نهج البلاغة (٦٤/١) و(٢٩٤/١) و(٣٨٥/١).

== الاحتجاج بأقوال علي رضي الله عنه ==
الكافي (١)، وأوردها صاحب عيون الحكم (٢)، والمجلسي في البحار في سياقات بعضها مطول وبعضها مختصر (٣).

واستشهد على جواز إضافة الشيء إلى نفسه بقوله رضي الله عنه: "لنسخ الرجاء منهم شفقات وجلهم" (٤)، وهي هكذا في النهج والبحار (٥).

و استشهد على ما سبق أيضا بقوله رضي الله عنه: "رخاء الدعة" (٦)، وهي في النهج (٧)، وقوله: "سكائك الهداء" وهي في النهج (٨)، وبحار الأنوار (٩).

واستشهد على الذي المصدرية وعلى اسميتها للام فيها بقوله رضي الله عنه: "نزلت أنفسهم منهم في البلاء كالذي نزلت في الرخاء" (١٠) وهو في النهج بلفظ: "كالتي" وأيضاً بهذا اللفظ في أمالي الشيخ الصدوق، وهو باللفظين في بحار الأنوار، وبلفظ "كما نزلت بهم"، وأورده أيضاً البهاء العاملي في الكشكول (١١).

-
- (١) الكافي: (٥٣/٥).
(٢) عيون الحكم (٤٠٦/١).
(٣) بحار الأنوار: (٥٩٩/٣١) و (٥٤/٣٢) و (٦٠/٣٢) و (٩٥/٣٢) و (١٠٠/٣٢) و (١٨٨/٣٢) و (١٩٣/٣٢).
(٤) شرح الكافية: (٢٤٥/٢).
(٥) نهج البلاغة: (١٣١/١) و (١٩٥/١)، والبحار (١١١/٥٤) و (٣٢٦/٧٤).
(٦) شرح الكافية: (٢٤٦/٢).
(٧) نهج البلاغة: (١٣٤/١).
(٨) السابق: (٤٠/١).
(٩) بحار الأنوار: (١٧٧/٥٤) و (١٨١/٥٤) و (٣٠٣/٧٤).
(١٠) شرح الكافية: (٥٢/٣).
(١١) نهج البلاغة (٣٠٣/١)، وأمالي الشيخ الصدوق (٥٧٠/١)، وبحار الأنوار (٣٤٢ و ٣١٥/٦٤) و (١٩٣/٦٥)، (٢٩/٧٥)، (٢٣/٧٥)، والكشكول (٢٠٧/٢).

واستشهد على أن الكثرة لا تدل على عدم لزوم زيادة ما الكافة إلى بين حال إضافتها إلى جملة بقوله رضي الله عنه: "بيننا هو يستقيلها في حياته، إذ عقدها لآخر بعد وفاته"^(١)، وهو هكذا في النهج، وفي أمالي الطوسي، وفي البحار، وأورده حسين بن عبد الصمد العاملي في وصول الأخيار إلى أصول الأخيار، وفخر الدين الطريحي في مجمع البحرين^(٢).

واستشهد على جواز تقدم معمول المصدر عليه إذا كان ظرفاً أو شبهه بقوله رضي الله عنه: "قلت عنكم نبوته"^(٣)، وهو هكذا في النهج، والبحار^(٤).

واستشهد على مشاركة المجرور بمن التفضيلية المفضل في المعنى تحقيقاً أو تقديراً بقوله رضي الله عنه: "لأن أصوم يوماً من شعبان أحب إلي من أن أفطر يوماً في رمضان"^(٥)، ورواه الشافعي في مسنده عن فاطمة بنت الحسين عن علي رضي الله عنه^(٦)، ورواه من طريق الشافعي الدارقطني، والبيهقي في السنن الكبرى، وكذا في الصغير، وفي المعرفة^(٧)؛ قال الحافظ في التلخيص: "فيه انقطاع"^(٨)، وقال الشوكاني في نيل الأوطار: "من رواية

(١) شرح الكافية: (١٩٦/٣).

(٢) النهج (٤٨/١)، وأمالي الطوسي (٣٧٣/١)، والبحار (٣٧٤/٢٨) و(٤٩٨/٢٩) و(٥١٩/٢٩) و(٥٠٤/٣٠)، ووصول الأخيار (٦٧/١)، ومجمع البحرين (٤٥٩/٥).

(٣) شرح الكافية: (٤٠٦/٣).

(٤) نهج البلاغة (٣٥٢/١)، والبحار (٨٣/٧٠).

(٥) شرح الكافية: (٤٥٥/٣).

(٦) مسند الشافعي: (١٠٣/١) (٤٦٧).

(٧) سنن الدارقطني: (١٢٥/٣) (٢٢٠٥)، والسنن الكبرى (٩٠/٢) (١٣٠٨)، والصغير

(٩٠/٢) (١٣٠٨)، والمعرفة (٢٤٣/٦) (٨٦٠٦).

(٨) التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير: (٤٥٧/٢).

== الاحتجاج بأقوال علي رضي الله عنه ==

فاطمة بنت الحسين عن علي وهي لم تذكره فالرواية منقطعة^(١) ، وجاء هذا النص منسوباً إلى عائشة رضي الله عنها - وهو الأقوى سنداً رواه أحمد، والبيهقي في السنن^(٢) ؛ قال الهيثمي : "رواه أحمد، رجاله رجال الصحيح"^(٣) ، قال في إرواء الغليل : "لا يصح سنده فيه رجل لم يسم لكن قد جاء مسمى ب (عبد الله بن أبي موسى) في مسند أحمد ... وسنده صحيح"^(٤) .

ومع كون الرواية عن عائشة أصح من الرواية عن علي ؛ فقد اقتصر الرضي في العزو إلى علي ولم يشر إلى رواية عائشة على ما جرت عليه مراجع الشيعة التي قصرت الرواية على علي حصراً كما في الكافي، والاستبصار لأبي جعفر الطوسي، وتهذيب الأحكام، ووسائل العاملي، ومن لا يحضره الفقيه، وبحار الأنوار، ومستدرک الوسائل^(٥) .

ومسلك الرضي هنا مما يقوي في النفس أنه كان قاصراً فيما أورده من روايات على ما روي في كتب الشيعة ، قليل البضاعة مما جاء في كتب أهل السنة.

واستشهد على ما سبق أيضاً بقوله رضي الله عنه : " اللهم أبدلني بهم خيراً منهم ، وأبدلهم بي شراً مني"^(٦) ، وهو هكذا في نهج البلاغة والبحار^(٧) .

(١) نيل الأوطار : (٣٩٩/٧).

(٢) مسند أحمد (٤٢١/٤١)، والسنن الكبرى (٣٥٥/٤) (٧٩٧١).

(٣) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : (١٤٨/٣).

(٤) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل : (١١/٤).

(٥) الكافي (٨١/٤)، والاستبصار (٧٨/٢)، وتهذيب الأحكام (١٨٢/٤)، والوسائل (٢٠/١٠).

(١٢٧٣٠) و (٢٣/١٠) (١٢٧٣٨) و (٢٨/١٠) (١٢٧٥١) و (٣٠٠/١٠) (١٣٤٧٠)، ومن لا

يحضره الفقيه (١٢٦/٢) (١٩٢٢ و ١٩٢٣)، وبحار الأنوار (٣٠١/٩٣ و ٣٠٣)، ومستدرک

الوسائل (٣٢٠/٧ و ٤١٩).

(٦) شرح الكافية : (٤٥٥/٣).

(٧) النهج : (٩٩/١)، والبحار (٧٩/٣٤) و (٢٢٦/٤٢).

وهو جزء من رواية طويلة رواها ابن سعد في الطبقات، وابن أبي الدنيا في جزء "مجابو الدعاء"، والمنامات، والآجري في الشريعة، وابن الأثير في الكامل، وابن عساكر في تاريخ دمشق، وأوردها ابن الجزري في أسد الغابة، والنويري في نهاية الأرب، والذهبي في تاريخ الإسلام، وابن كثير في البداية والنهاية، والسيوطي في تاريخ الخلفاء^(١).

واستشهد على إفادة أفعّل التفضيل بُعدَ الفاضل من المفضول وتجاوزه عنه ووقوع من فيه غير تفضيلية بقوله ﷺ: "ولهي بما تعدك من نزول البلاء بجسمك والنقص في قوتك أصدق وأقوى من أن تكذبك أو تغرك"^(٢)، وهو في نهج البلاغة، وبحار الأنوار^(٣).

واستشهد على وقوع التتوين على لفظ أول حال خلوها من ذكر موصوف قبله أو من التفضيلية بعده ولم يكن مع اللام والإضافة لخفاء وصفيته بقول علي ﷺ: "أحمدته أولاً بادئاً"^(٤)، لا يوجد بهذا اللفظ لكنه ورد في النهج من خطبة له عليه السلام وهي الخطبة العجيبة وتسمى "الغراء" بلفظ: "أحمدته على عواطف كرمه وسوابغ نعمه وأومن به أولاً بادئاً"^(٥).

(١) طبقات ابن سعد (٣/٣٦)، وجزء "مجابو الدعاء" لابن أبي الدنيا (ص ٢٩) برقم (٢٥)، والمنامات (ص ٦٧) برقم (١١٠)، والشريعة للآجري (٤/٢١٠٥) (١٥٩٨)، والكامل لابن الأثير (٢/٧٣٨)، وتاريخ دمشق (٤٢/٥٥٦ و ٥٥٧)، وأسد الغابة (٤/١٢٨ و ١٢٩)، ونهاية الأرب (٢٠/١٣١)، وتاريخ الإسلام (٣/٦٤٩)، والبداية والنهاية (١١/١٢٥)، وتاريخ الخلفاء (١٣٦/١).

(٢) شرح الكافية: (٣/٤٥٥).

(٣) النهج: (١/٣٤٥)، والبحار (٦٨/١٩٣).

(٤) شرح الكافية: (٣/٤٦١).

(٥) نهج البلاغة: (١/١٠٧).

== الاحتجاج بأقوال علي رضي الله عنه ==

واستشهد على انصراف الماضي إلى الاستقبال بالإنشاء الطالبي حال الأمر به بقوله رضي الله عنه : "أجزأ امرؤ قرنه، وآسى أخاه بنفسه" (١) ، وهو من رواية مطولة في النهج، وفي وسائل الشيعة، والبحار (٢) .

واستشهد على مخالفة قول جار الله بأن الفعل الذي يدخل على أن المفتوحة مشددة كانت أو مخففة يجب أن يشاكلها في التحقيق بما جاء في نهج البلاغة: "وددت أن أخي فلانا كان حاضرا" (٣) ، والعبارة في النهج لرجل يخاطب عليا عليه السلام بلفظ : "وقد قال له بعض أصحابه وددت أن أخي فلانا كان شاهدا ليرى ما نصرك الله به"، وهي هكذا في بحار الأنوار (٤) .

واستشهد على أن النفي الواقع في خبر قولهم : ما تأتينا فتحدثنا يجوز أن ينصرف إلى الجزء الثاني دون الأول أي بانتفاء الحديث على وقوع الإتيان بقوله عليه السلام : " لا يخرج لكم من أمري رضا فترضونه ولا سخط فتجتمعون عليه" (٥) ، وهو هكذا في نهج البلاغة، والبحار (٦) .

واستشهد على عدم دخول الفاء على جواب الشرط إن صدر بهمزة استفهام بقوله عليه السلام : "وإن فعل الله ذلك لكم أتؤمنون؟" (٧) ، وهي في نهج البلاغة

(١) شرح الكافية : (١٢/٤) .

(٢) نهج البلاغة (١٨١/١) ، ووسائل الشيعة (٦١/١٥) ، والبحار (٤٥٥/٣٣) .

(٣) شرح الكافية : (٣١/٤) .

(٤) نهج البلاغة (٥٥/١) وبحار الأنوار (٢٤٥/٣٢) و(٩٦/٩٧) .

(٥) شرح الكافية : (٧٠/٤) .

(٦) نهج البلاغة (٢٥٩/١) ، والبحار (٨٦/٣٤) .

(٧) شرح الكافية : (١١٣/٤) .

بلفظ : "فإن فعل الله"، وكذا في البحار، وأورده أيضا الشيخ هادي النجفي في ألف حديث في المؤمن^(١).

واستشهد على جواز إضمار الدال على التفكير من أفعال القلوب بقوله رضي الله عنه: "يتخالسان أنفسهما أيهما يسقي صاحبه كأس المنون"، والتقدير: متفكرين^(٢)، وهو هكذا في النهج والبحار^(٣).

واستشهد على عدم امتناع إسناد نعم وبئس إلى من الجنسية وهي التي تكون صلتها عامة بقوله رضي الله عنه: "لنعم دار من لم يرض بها دارا"^(٤)، وهو هكذا في النهج والبحار^(٥).

واستشهد على حذف جواب القسم متى وقع اعتراضا بقوله رضي الله عنه : " قد والله لقوا الله "^(٦)، وأورده أيضا شاهدا على انفصال قد من الفعل بالقسم^(٧)، والعبارة هكذا في النهج، والبحار^(٨).

واستشهد على أن كأن المخففة الممهلة يجوز أن يليها الفعلية بقوله رضي الله عنه : "كأن قد وردت الأظعان"^(٩)، وهو هكذا في النهج^(١٠).

(١) نهج البلاغة (٣٠١/١)، والبحار (٤٧٦/١٤) و(٣٨٩/١٧) و(٣٢١/٣٨)، وألف حديث في المؤمن (١٢٠/١).

(٢) شرح الكافية : (١٦٦/٤).

(٣) نهج البلاغة (٩٢/١)، والبحار (٣٢١/٣٠) و(٣٢٨) و(٢٤٥/٣٢) و(٣٧/٣٤).

(٤) شرح الكافية : (٢٥٢/٤).

(٥) نهج البلاغة (٣٤٥/١)، والبحار (١٩٣/١٨).

(٦) شرح الكافية : (٣١٦/٤).

(٧) السابق : (٤٤٥/٤).

(٨) نهج البلاغة (٢٦٤/١)، والبحار (١٢٧/٣٤).

(٩) شرح الكافية : (٣٧١/٤).

(١٠) نهج البلاغة : (٤٠١/١).

== الاحتجاج بأقوال علي رضي الله عنه ==

واستشهد على جواز وقوع صلة ما المصدرية جملة اسمية بقوله رضي الله عنه : "بقوا في الدنيا ما الدنيا باقية"^(١) ، وهو في نهج البلاغة بلفظ : " ثم عمرتم في الدنيا، ما الدنيا باقية "، وفي البحار ، ومستدرک الوسائل ، وأورده الشيخ الصدوق في من لا يحضره الفقيه بلفظ: "ثم عمرتم في الدنيا ما كانت الدنيا"، وهذه الجملة جزء من خطبة لعلي رضي الله عنه رواها أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء^(٢) .

تحقيق موقف الرضي من اعتماد نهج البلاغة

كما رأينا ملأ الرضي كتابه بأقوال منسوبة إلى الإمام علي رضي الله عنه ، ولا ضير في ذلك فعلي رضي الله من العرب المحتج بأقوالهم بإجماع أهل اللغة ، ولكن يبقى النظر في ثبوت ذلك عنه؛ فقد نسبت إلى الإمام علي رضي الله عنه أقوال وأشعار كانت محل طعن أهل العلم؛ وعامة ما ينقله كما تقدم من كتاب نهج البلاغة ، وثبوت كل ما في هذا الكتاب عن علي رضي الله عنه محل نزاع ، فكتاب نهج البلاغة الذي أكثر رضي الدين من النقل عنه واعتماد نصوصه قد اشتهر أنه من جمع الشريف الرضي كما هو مدون على النسخ المطبوعة منه، لكن الصحيح لدى جماعة من المحققين أنه من وضع أخيه الشريف المرتضي المتوفى في القرن الخامس الهجري، جمع بين التشيع والاعتزال ، وهو كتاب مشحون بالعداء على الصحابة الكرام خصوصا الشيخين أبا بكر وعمر بصورة تتم عن بعده عن حد العدل والإنصاف.

(١) شرح الكافية : (٤/٤٤١).

(٢) نهج البلاغة (١١٣/١) والبحار (١٠٧/٨٨)، ومستدرک الوسائل (١٣٣/١)، ومن لا يحضره الفقيه (٥٢٠/١)، وحلية الأولياء (٧٧/١).

وكان أحد الباحثين واسمه امتياز علي خان العرشي قد نشر بحثاً في مجلة ثقافة الهند في ديسمبر سنة ١٩٢٧م عربه عامر الأنصاري بشأن نسبة الكتاب إلى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ^(١).

و قد ذكر المؤلف مصادره التي اعتمد عليها في نقل النصوص عن علي رضي الله عنه وهي :

١- البيان والتبيين لعمر بن بحر الجاحظ .

٢- الجمل للواقدي .

٣- المغازي لسعيد بن يحيى الأموي .

٤- تاريخ الطبري .

٥- المقتضب للمبرد .

وجميع هذه المصادر لا عبرة بها إلا تاريخ الطبري ففيه الصدق والكذب، فهو يذكر الروايات بإسنادها على قاعدة: " من أسند فقد أحالك"، وأكثر زنادقة هذا العصر ينقلون ما يشوهون به تاريخ الإسلام من هذا الكتاب مما لا يستند إلى رواية صحيحة بل مما لم يكن المؤرخ ابن جرير الطبري نفسه يؤمن بصحته !

والتحقيق العلمي يقتضي بطلان الكتاب برمته لأنه كتاب معلق بغير إسناد، ومثل هذا لا ينبغي أن ترفع له رأس، وإلا لجاز لكل أحد من الناس أن يسند

(١) نقلا عن محقق النسخة المطبوعة في مقدمة الكتاب ، والبحث المشار إليه اسمه "استناد نهج البلاغة" للسيد امتياز علي عرشي الهندي، باللغة الإنجليزية ونقله إلى العربية السيد عامر الأنصاري، ط إيران ١٣٩٣هـ في ٨٧ ص، نقلاً عن مجلة (ثقافة الهند) العدد الرابع المجلد الثامن.

— الاحتجاج بأقوال علي رضي الله عنه —

الأقوال إلى الجيل الأول دون إسناد فيختلط الصدق بالكذب والحق بالباطل والغث بالثمين !

والمشهور عند الشيعة أن الكتاب من جمع الشريف الرضي، قال الحر العاملي في الفصول المهمة : " نهج البلاغة، جمعه محمد بن الحسين الرضي المعروف بالسيد الرضي قدس سره" (١) .

وقال المجلسي في بحار الأنوار : "وأما مصنفات الإمام العلامة السعيد ملك الأدباء علامة الفضلاء أبي الحسين محمد الرضي جامع كتاب نهج البلاغة من كلام الإمام الرباني وارث علم رسول الله وخليفته أبي الحسن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه فأني أرويهما عن جماعة كثيرة منهم من تقدم إلى ابن شهر آشوب عن السيد الإمام أبي الصمصام ذي الفقار بن معبد الحسني المروزي عن السيد الرضي بواسطة أبي عبد الله محمد بن علي الحلواني رحمهم الله" (٢) ، وصرح في مواضع كثيرة بعزو الكتاب إلى الشريف الرضي، ووصفه بـ "معجز الإمام المفترض الطاعة أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام" (٣) .

وقال محمد باقر المحمودي في نهج السعادة : "لم يعرف - ولن يعرف أبدا - بعد القرآن الكريم نظير كلام أمير المؤمنين - عليه السلام - ... ولم يشاهد - ولن يشاهد أبدا - بعد تنزيل العزيز الحميد، عدل نهج البلاغة" (٤) .

(١) الفصول المهمة في أصول الأئمة : (٣٣/١).

(٢) بحار الأنوار: (١٩٨/١٠٤).

(٣) السابق: (١٩١/١٠٤).

(٤) نهج السعادة في مستدرک نهج البلاغة: (٦/١).

والشيعة لا يبنون تصحيح النهج على بناء راسخ من الأسانيد المعتبرة كما هو الحال في عامة ما يصححه أهل السنة من كتب الرواية، وإنما يرجعون قبول الكتاب إلى علي رضي الله عنه معتقدين صحة كل ما ورد فيه تقليداً لتسليم أكابرهم بالكتاب والنظر إليه بعين التقديس التي تجله عن طلب السند كما هو الحال في نظرة المسلمين إلى الكتاب العزيز، ويمكن تلخيص الوجوه التي تثبت صحة النهج عندهم بثلاثة :

الأول - أن الشريف الرضي قد ذكر ما ذكره منسوباً إلى علي والذي يظهر من المقدمة كون ذلك عنده من المسلمات.

الثاني - أن أسلوب النهج لا يتفق لأحد غيره رضي الله عنه لما فيه من بلاغة تبهر العقول ويسلم بها كل ذي مسكة وعلم باللغة والأدب العربيين، ولذا تجد أن جمعا من علماء النجف لما وجه إليهم السؤال عنه قالوا بأنه فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق وكما صرح بذلك ابن أبي الحديد نفسه.

الثالث - قولهم : إن النهج كان على مرأى من علمائنا وأصحابنا المتقدمين ولم نجد منهم من طعن في صحته أو غمز فيه مما يدل على تسالمهم بأن ما فيه هو من كلام أمير المؤمنين سلام الله عليه^(١).

ومن بين محاولاتهم في الخروج عن دائرة تعليق الكتاب من عصر الرضي إلى عصر الإمام دون أسانيد تعقب جماعتهم الأقوال المنسوبة للإمام في الكتب المتقدمة كأنما يتفقدون للقيط نسباً ! فصنف محمد الدشتي (المتوفى ١٤٢٢ هـ) "إسناد ومدارك نهج البلاغة"، ذكر فيه (٢٨٣) مصدراً لنهج البلاغة، وبين مصادر كلام الإمام عليه السلام وفق ترتيب نهج البلاغة ويشكل

(١) انظر : بحوث في فقه الرجال : ص ١.

== الاحتجاج بأقوال علي رضي الله عنه ==

هذا الكتاب الجزء الرابع من مجموعة صنفها المؤلف تحت عنوان «آشنايي نهج البلاغة» (بالفارسية) تقع في سبعة أجزاء.

كما صنف السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب "مصادر نهج البلاغة وأسانيده"، طبع الكتاب في أربعة أجزاء، وقسم المؤلف مصادر نهج البلاغة إلى أربعة أقسام:

١ - المصادر المؤلفة قبل عام (٤٠٠ هـ)، وهي متوفرة اليوم.

ب - المصادر المؤلفة قبل كتاب نهج البلاغة، وقد نقل عنها بالواسطة.

ج - المصادر المدونة بعد السيد الرضي، لكنها نقلت كلام الإمام عليه السلام بأسانيد متصلة دون أن يقع في طرقها السيد الرضي.

د - المصادر المدونة بعد السيد الرضي، ونقلت كلام الإمام علي عليه السلام مع بعض الاختلاف عما جاء في نهج البلاغة، وقد نقل المصنف أسماء (١١٤) مصدراً.

وصنف هادي كاشف الغطاء "مدارك نهج البلاغة ودفع الشبهات عنه"، وطبع بمكتبة الأندلس ببירות بمعية كتاب آخر للمؤلف، هو مستدرك نهج البلاغة، يتناول فيه المؤلف الشبهات التي أثّرت حول نسبة نهج البلاغة إلى أمير المؤمنين بالنقد والتحليل، ويتعرض إلى مصادر بعض كلمات الإمام علي رضي الله عنه.

وصنف رضا الأستاذي بحثاً مقتضباً (بالفارسية) حول نهج البلاغة ومداركه، وثمة من تعرض لمصادر الشارح ابن أبي الحديد فوضع "العذيق النضيد بمصادر ابن أبي الحديد"، وطبع بمطبعة العاني، بغداد ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م -، ووضع حسن زاده الأملي "الإنسان الكامل في نهج البلاغة" بذل المؤلف جهوداً كبيرة في هذا المضمار، ويقول في مقدمة كتابه: "لقد اطلعت

على مصادر هائلة لنهج البلاغة من الجوامع الروائية، وكتب السير والغزوات، ومجاميع حديثة، وسفن علمية [إشارة منه إلى سفينة البحار]، وقال: كان دأبي العثور على مصادر ومنابع دونت قبل السيد الرضي، حتى حالفتني التوفيق في الوصول إلى ثلثي تلك المصادر .

كل هذه المحاولات تثبت أن القوم وقفوا أمام هذا الكتاب المعلق حياري يتخبطون في نسبته، وليس بخاف أن العزو إلى مصادر أخرى من كتب التاريخ والأدب أمر لا يتحقق منه ثبوت الروايات عن الإمام؛ إذ ليس المستهدف إيراد مصدر كالبيان والتبيين أو تاريخ الطبري أو غيرها؛ فالنصوص الشرعية إنما تثبت بالأسانيد الصحيحة المتصلة برواية العدول النقات الضابطين؛ إذ لا يصح أن تبنى الأديان على الشكوك والأوهام والتحريف والتجديف !

أما علماء أهل السنة ومحققوهم فهم يقطعون قطعاً ببطلان الكتاب برمته، ولا يحتاج الحكم ببطلانه دليلاً لافتقاره إلى شروط الرواية الصحيحة وكونه معلقاً من عصر الرضي إلى عصر الإمام، ومع هذا قد ذكر بعض من طعن في هذا الكتاب من أدلة بطلان نسبة الكتاب إليه ما يلي (١) :

- ١- خلو المصادر قبل الشريف الرضي من كثير مما في نهج البلاغة .
- ٢- امتلاؤه بالسجع الذي لم يكن الإمام معتاداً على استعماله بهذه الصورة .
- ٣- وجود أمور من دقائق الأفكار والمصطلحات العلمية التي لا تتناسب وعصر الإمام (٢) .

(١) نقلاً عن المصدر السابق .

(٢) من ذلك وجود جمل في خطب نهج البلاغة تنطق بحركة الأرض وتتنطبق على أصول الهيئة الجديدة ومسائلها التي حدثت في عصور متأخرة، كقوله رضي الله عنه في صفة الأرض: (فسكنت على حركتها من أن تميد بأهلها أو تسبخ بحملها) وقوله: =

== الاحتجاج بأقوال علي رضي الله عنه ==

٤- وجود أقوال جارحة لكبار الصحابة رضي الله عنهم على خلاف ما كان علي رضي الله عنه يكنه لهم من الإجلال والإكبار ، على نحو ما ورد في الخطبة الشقشقية .

قال ابن خلكان في وفيات الأعيان بعد أن ذكر الشريف المرتضي وأثنى عليه : "قد اختلف الناس في كتاب نهج البلاغة المجموع من كلام الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه هل هو جمعه أم جمع أخيه الرضي ، وقد قيل إنه ليس من كلام علي ، وإنما الذي جمعه ونسبه إليه هو الذي وضعه والله أعلم " (١) .

=(وعدل حركاتها بالراسيات من جلاميدها)، وقد قالوا: إن الرأي القائل بتحريك الأرض مع سكونها الظاهر مستحدث من بعد (غالية) الإيطالي (وكوبرنيك) الألماني و(نيوتن) الإنكليزي، ورأى ثبوت الحركات العشر للأرض متأخر عنهم جداً، وكل هذه الآراء حادثة بعد انتشار شروح نهج البلاغة فضلاً عن النهج - الذي اشتهر أمره من قبلها. ولا شك أن الرأي بتحريك الأرض ليس هناك من سبيل إلى وجوده في عصر الإمام في حين أن عصر واضع الكتاب وهو الشريف المرتضى كان يعج بمثل هذه الأقوال التي ظهرت على أيدي جماعة إخوان الصفا وهم جماعة سرية دينية وسياسية وفلسفية ، عاشوا في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، والشريف المرتضى ولد عام خمس وأربعمئة؛ فهو معاصر لهذه الجماعة، وقد جمعوا معارف عصرهم العلمية والفلسفية والدينية في رسائل تزيد عن خمسين رسالة، وتكون ما يشبه بدائرة المعارف تتضمن الكثير من القضايا العلمية، وقد تحدثوا في كتاباتهم عن حركة الكواكب وتأثيرها في حوادث عالم الكون، وخاصة في تكوين النبات والحيوان والجنين، وقد أعطوا الشمس مكانة خاصة: فهي من العالم بمنزلة القلب من الجسد، وبقية الكواكب بمنزلة بقية الأعضاء. كما شرحوا بشكل مفصل أثر الشمس في أثناء سيرها.

(١) وفيات الأعيان : (٣١٣/٣) .

وقال الذهبي في ترجمة المرتضي متهما إياه باختلاق الكتاب :

" علي بن الحسين الشريف المرتضي المتكلم الرافضي المعتزلي صاحب التصانيف ... مات سنة ست وثلاثين وأربعمائة عن إحدى وثمانين سنة ، وهو المتهم بوضع كتاب نهج البلاغة ... ومن طالع كتابه نهج البلاغة جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ؛ ففيه السب الصريح والخط على السيدين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وفيه من التناقض والأشياء الركيكة والعبارات التي من له معرفة بنفس القرشيين الصحابة وبنفس غيرهم ممن بعدهم من المتأخرين جزم بأن الكتاب أكثره باطل" (١) .

و قال عنه ابن حجر العسقلاني في اللسان : " كتبه طافحة بأنه كان شيعيا معتزليا حتى إنه قال في حق ابن عمر إنه امتنع عن بيعة علي بن أبي طالب ثم بايع بعد ذلك يزيد بن معاوية والحجاج لعبد الملك بن مروان ، وله من ذلك أشياء كثيرة " (٢) .

ومع أن ما تقدم من جهة علوم الشريعة محل نظر بين ونقاش عريض ؛ فهو من جهة الاستدلال على قواعد اللغة لا شك في فساده ؛ لأن قواعد اللغة تبنى على صحة الألفاظ لا على ثبوت عموم المعنى ، وهم يثبتون المعاني بظنون مرجوحة ترجع في جملتها إلى تقليد أسلافهم كما تقدم من كلامهم ، فكيف بثبوت الألفاظ نفسها ، ناهيك عن أنهم أنفسهم صرحوا بعدم القطع بنسبة هذه الألفاظ بعينها إلى علي رضي الله عنه ؛ قال السيد علي حسين مكي العاملي مصرحا بذلك : " وكون ما في الكتاب مجملا صحيح النسبة كافيا لاتخاذ مسلكا ومنهاجا للكمال والسير والتقرب إلى حضرة الله عز وجل خصوصا مع تأيد ما فيه - ولأي كانت النسبة - بالعقول السلمية والقلوب النيرة المستقيمة ، ومنه

(١) ميزان الاعتدال : (٥٨٢٧/٣) (١٢٤/٣) .

(٢) لسان الميزان : (٥٨٩) (٢٢٥/٤) .

== الاحتجاج بأقوال علي رضي الله عنه ==

يَتَحَصَّلُ أَنَّ التَّشْكِيكَ فِي النَّهْجِ عَلَى نَحْوِ يَرَادُ مِنْهُ اسْتِيعَابُ الْجُمْلِ وَالْكَلِمَاتِ بِأَسْرَافِهِ فِيهِ إِشْكَالٌ وَتَأْمَلُ وَاضِحِينَ كَمَا عَرَفْتَ مِنْ ثُبُوتِهِ وَلَوْ فِي الْجُمْلَةِ، وَإِنْ لَمْ نَسْتَطِعْ الْجُزْمَ بِبَعْضِ الْمَفْرَدَاتِ أَوْ الْجُمْلِ بِالتَّحْدِيدِ" (١) .

وعلى هذا فإن اعتماد نهج البلاغة في إثبات قواعد اللغة مما لا يسوغ حتى على التسليم بصحة ما قاله الشيعة أنفسهم لعدم قطعهم بثبوته بلفظه من كلام الإمام عليه السلام .

وقد نقلت عن الشريف المرتضى المتهم بوضع الكتاب أقوال تخرق إجماع الأمة؛ نقل عنه ابن الجوزي من ذلك أن الكتابيات حرام ، وذبائح أهل الكتاب حرام ، وكذا ما ولوه هم وسائر الكفار من الأطعمة ، وأن من نام عن صلاة العشاء حتى انتصف الليل وجب قضاؤها ، ويجب عليه أن يصبح صائماً كفارة لما وقع منه، وأن المرأة إذا جزت شعرها يجب عليها كفارة قتل الخطأ، ومن شق ثوبه في مصيبة وجب عليه كفارة يمين، ومن تزوج امرأة لها زوج لا يعلمه وجب عليه أن يتصدق بخمسة دراهم، وغير ذلك قال ابن الجوزي : نقلتها من خط أبي الوفاء بن عقيل.

قال : وهذه مذاهب عجيبة تخرق الإجماع، وأعجب منها ذم الصحابة رضي الله عنهم، ثم سرد من كلامه شيئاً قبيحاً في تكفير عمر وعثمان وعائشة وحفصة، رضي الله عنهم، وقبحه وأمثاله إن لم يكن تاب، فقد روى ابن الجوزي قال : أنبأنا ابن ناصر ، عن أبي الحسن بن الطيوري قال : سمعت أبا القاسم بن برهان يقول : دخلت على الشريف المرتضى أبي القاسم العلوي في مرضه ، وإذا قد حول وجهه إلى الجدار، فسمعتة يقول: أبو بكر وعمر وليا

(١) بحوث في فقه الرجال : (ص: ٨٨).

فعدلا، واسترحما فرحما، فأنا أقول : ارتدا بعد ما أسلما ؟! قال : فقلت فما بلغت عتبة الباب حتى سمعت الزعقة عليه^(١).

وقد كان اعتناء الرضي الإسترابادي بأقوال علي رضي الله عنه دون غيره من الصحابة رضي الله عنهم محل نظر بعض أهل العلم ، فقد صرح الشيخ محمد الطنطاوي بأنه لم يقف على شيء في ترجمته يتلمس منه هذه الوجهة الجديدة - يعني الاحتجاج بأقوال أهل البيت - أترجع إلى النسب أم التشيع^(٢).

لكن المطالع للشواهد والأدلة التي يسوقها لا يخفى عليه استتاده فيما يأتي به من نصوص إلى كتب الشيعة، والألفاظ الموجودة عنده هي ألفاظ رواياتهم كما تقدم في تخريج ما أورده، وقد وجدت له ترجمات في كتب الشيعة، وقد ذكر محقق شرح الكافية من متن الكتاب ما يدل على تشيعه حيث حرص في تمثيله لبعض القواعد أن يبرز هذا الاعتقاد ، فمثل لتقدم المفعول على الفاعل عند قيام القرينة بقوله : " استخلف المرتضى المصطفى صلى الله عليه وسلم"^(٣) ، ومثل في باب المركبات بقوله : " الحسين رضي الله عنه ثالث الاثني عشر"^(٤) ، وهذه عبارات ناطقة بالتشيع^(٥) .

وترجم للرضي الميرزا محمد باقر الموسوي الخوانساري الأصبهاني في "روضات الجنات" وناقح عنه وتعصب له ونسبه إلى الشيعة الاثني عشرية،

(١) انظر مقال عبد الله زقيل بعنوان : كتاب " نَهْجُ الْبَلَاغَةِ " فِي مِيزَانِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ، منشور على شبكة الإنترنت ، موقع :

http://www.islamway.com/bindex.php?section=articles&article_id=٢٦٠

(٢) انظر : نشأة النحو : (ص ١٩٤).

(٣) أورد العبارة على سبيل التمثيل في باب الترتيب بين الفاعل والمفعول : (١/١٩١).

(٤) أورد العبارة على سبيل التمثيل في باب المركب العددي والمركب المزجي : (٣/١٣٧).

(٥) انظر : مقدمة شرح الكافية : (ص ٨)

== الاحتجاج بأقوال علي رضي الله عنه ==

ومما قاله في ترجمته: "والعجب من الحافظ السيوطي المعروف بالتتبع والمهارة كيف لم يزد في ترجمة مثل هذا الأسد الضرغام والعهد القمقام والحبر التمام والبحر الطمطم على ما ذكره في هذا المقام ؟ إلا أن يعتذر عن الإهمال في حقه والمسامحة في أمره بكونه من الشيعة الإمامية والعلماء الدينية الاثني عشرية ، وبالجمله فهو أحد نواذر الدهر وأعاجيب الزمان الذي به افتخار العجم على العرب، ومباهاة الشيعة على سائر فرق الإسلام" (١) .

وهذا الكلام الذي قاله فيه تجن وظلم وافتراء على السيوطي ؛ لأنه عزا إهمال السيوطي له إلى تشيعه، في حين أن عبارة السيوطي في ترجمته في البغية لم يزد فيها على أن قال: " لم أقف على اسمه ولا على شيء من ترجمته إلا أنه فرغ من تأليف هذا الشرح سنة ثلاث وثمانين " (٢) ، فمن أين عرف السيوطي أنه شيعي. وهو قد صرح بأنه لم يعرف حتى اسمه، على أن السيوطي تكلم عن شرحه لكافية ابن الحاجب كلاما طيبا، فقال عن صاحبها : " صاحب شرح الكافية لابن الحاجب ، الذي لم يؤلف عليها، بل ولا في غالب كتب النحو مثلها جمعا وتحقيقا وحسن تعليل " (٣) ، وهذا كلام غاية في الإنصاف منه ليس فيه ذاك التجني الذي يدعيه هذا الدعي ، علما بأن السيوطي وغيره من أصحاب كتب التراجم يترجمون للمصنفين على مختلف فرقهم ، يعرف هذا من له أدنى اطلاع على كتبهم ، فهم لا يلجئون إلى هذه الحيل البلهاء فرارا من الترجمة لأحد المصنفين الذين ينتمون لغير فرقته، بل يذكرون لصاحب الترجمة كل ما قيل فيه من خير أو شر، وربما وجدوا ما يستحق أن يحذروا الناس منه فيفعلون.

(١) روضات الجنات: (٣/٣٣٦).

(٢) بغية الوعاة: (١/٥٦٧).

(٣) بغية الوعاة: (١/٥٦٧).

وقد ترجم له أيضا محسن الأمين في كتابه " أعيان الشيعة " ونسب إليه شرح القصائد العلويات السبع لابن أبي الحديد نقلا عن كتاب " أمل الآمل " ، وذكر أن ابن أبي الحديد كان متقدما عليه^(١) .

وكان صاحب خزانة الأدب قد ذكر في ترجمة الرضي أنه ختم شرحه في الحضرة المقدسة الغروية نقلا من كلام الرضي نفسه^(٢) ، فقال محسن في حاشية الترجمة : " من الطرائف ما ذكره المصحح هنا بنسخة خزانة الأدب المطبوعة بمصر سنة ١٣٤٧ في تفسير الحضرة الشريفة الغروية حيث قال: هي المدينة المنورة، ومن ضواحيها الغرو والغراء، ومن أطامها غرة، وهو البيت الذي بنيت منارة بمسجد قباء في مكانه، والغري كغني الحسن الجيد أهـ ، وما كان عليه إلا أن ينظر في كتب اللغة ليعلم أن الغري موضع قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) والغروية نسبة إليه ، ولكن الظاهر أنه لم يخطر بباله أن حضرة أمير المؤمنين (ع) يمكن أن يقال عنها الحضرة الشريفة"^(٣) .

قلت : فنظرت أنا في كتب اللغة فلم أهدأ لهذا الذي ادعاه محسن ، بل قال في القاموس : " الغري البناء الجيد، والغريان بناءان مشهوران بالكوفة"^(٤) ، على أن المذكور في موضع قبر أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أنه لما قتل دفن بدار الإمارة بالكوفة وقد غبي قبره خوفا عليه من الخوارج أن ينبشوا جثته^(٥) ، وفي تاريخ الخلفاء: " قال أبو بكر بن عياش : عمي قبر

(١) أعيان الشيعة : (١٥١/٩ - ١٥٣) .

(٢) انظر : خزانة الأدب : (٤٨/١) .

(٣) أعيان الشيعة : (١٥١/٩) .

(٤) القاموس المحيط ، مادة (غرا) : (٣٦٤/٤) .

(٥) انظر البداية والنهاية : (٣٤٢/٧ ، ٣٤٣) .

== الاحتجاج بأقوال علي رضي الله عنه ==

عليّ لئلا ينبشه الخوارج ، وقال شريك : نقله ابنه الحسن إلى المدينة ، وقال المبرد محمد بن حبيب : أول من حوّل من قبر إلى قبر علي رضي الله عنه حملوه ليدفنوه مع النبي عليه الصلاة والسلام ، فبينما هم في مسيرهم ليلاً إذ نذّ الجمل الذي هو عليه ، فلم يدر أين ذهب ولم يقدر عليه ، قال : فلذلك يقول أهل العراق : هو في السحاب، وقال غيره: إن البعير وقع في بلاد طيئ فأخذه فدفنوه^(١) ، وهذا المسعودي مع تشييعه لم يقطع في "مروج الذهب" بموضع القبر بل قال: "وقد تتوزع في موضع قبره؛ فمنهم من قال: إنه دفن في مسجد الكوفة، ومنهم من قال: إنه حمل إلى المدينة فدفن عند قبر فاطمة، ومنهم من قال: إنه حمل في تابوت على جمل، وإن الجمل تاه ووقع إلى وادي طيئ، وقد قيل من الوجوه غير ما ذكرنا"^(٢) ، وروى الخطيب في تاريخ بغداد عن إسحق بن عبد الله بن أبي فروة قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي: كم كان سن علي يوم قتل؟ قال: ثلاثا وستين، قلت: ما كانت صفته ؟ قال: قال: رجل آدم شديد الأدمة، ثقيل العينين عظيمها، ذو بطن، أصلع هو إلى القصر أقرب، قلت: أين دفن ؟ فقال: بالكوفة ليلاً وقد غبي عني دفنه"^(٣) .

وروى عن أبي الحسن الزياتي قال: دفن علي بالكوفة عند قصر الإمارة عند المسجد الجامع ليلاً وعمّي قبره"^(٤) .

وروى غير واحد أن الحسن بن علي عليه السلام قد نقل قبر أبيه أمير المؤمنين عليه السلام إلى المدينة^(٥) .

(١) تاريخ الخلفاء: (ص ١٧٦).

(٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر: (٣٥٨/٢).

(٣) تاريخ بغداد: (١٣٤/١ - ١٣٥).

(٤) السابق: (١٣٧/١ - ١٣٨).

(٥) وانظر الخلاف في موضع قبره رضي الله عنه في تاريخ بغداد: (١٣٧/١ - ١٣٨) .

وتعمية القبر رواية موجودة في مكتب الشيعة أنفسهم؛ قال المجلسي: وقفت في كتاب ما صورته قال إسحاق بن عبد الله بن أبي مروان سألت أبا جعفر محمد بن علي (ع) كم كانت سن علي بن أبي طالب (ع) يوم قتل قال : ثلاثا وستين سنة قلت : ما كانت صفته قال : كان رجلا آدم شديدا الأدمة ثقيل العينين عظيمهما ذا بطن أصلع فقلت طويلا أو قصيرا قال : هو إلى القصر أقرب قلت : ما كانت كنيته قال : أبو الحسن قلت أين دفن قال بالكوفة ليلا وقد عمي قبره (١) ، بل ثمة رواية في كتبهم تنص على أن ذلك — أعني الدفن سرا — كان بوصية من علي نفسه ﷺ ؛ ففي مستدرك الوسائل للمحدث النوري عن عبد الرحيم القصير قال: "سألت أبا جعفر (ع) عن قبر أمير المؤمنين ع قال أمير المؤمنين (ع) مدفون في قبر نوح (ع) إلى أن ذكر وصيته (ع) وفيها إذا مت فغسلاني وحنطاني واحملاني بالليل سرا إلى أن قال وادفناي مع من يعينكما على دفني بالليل وسويا ... إلى أن قال قلت أين دفن قال بالكوفة ليلا" (٢) .

فلا أحد يعرف على وجه التحديد مكان قبره، فضلا عن أن يكون علما بارزا لا تختلف عليه كتب اللغة على نحو ما جاء في الادعاء المتقدم !
وجملة القول أنه لا يصح ما ذهب إليه الرضي من حجية كلام أهل البيت، وربما كان ذلك أمرا راجعا إلى تشييعه لا إلى شيء مما يعتد به من الأدلة المعتمدة.

انتهى المقصود من هذا البحث

ولله الأمر من قبل ومن بعد

(١) بحار الأنوار : (٢٢٠/٤٢) - (٢٢١).

(٢) مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل : (٣٠٦/٢).

النتائج

- الاستشهاد بأقوال أهل البيت على قواعد اللغة أمر لم يعرفه الأئمة المتقدمون من النحاة، وكان أول ظهور لهذا الرأي في القرن الثامن الهجري على يد رضي الدين الإستراباذي.
- تعصب بعض المتأخرين لكلام الرضي وناصره كالبغدادي صاحب الخزائن.
- لا خلاف في حجية كلام أهل البيت من الصحابة أو من كان منهم في عصر الاحتجاج.
- مصطلح أهل البيت من المصطلحات التي تتازع فيها أهل القبلة على خلاف بين المذاهب الإسلامية، وكذا داخل المذهب الواحد.
- اختلفوا في إدخال أزواج النبي ﷺ في مسمى آل؛ فالشيعة يرفضون ذلك قولا واحدا، وأهل السنة لهم في المسألة قولان.
- أهل البيت مصطلح له معنى شرعي عند الطوائف الإسلامية، وهو بمعزل عن مقصود اللغويين بأهل الاحتجاج اللغوي.
- الاحتجاج اللغوي تضبطه ضوابط زمانية ومكانية لا تمت بأية صلة لمعاني الفضيلة أو القداسة.
- آل البيت ليسوا محصورين في زمن الاحتجاج على المذهبين؛ فقد امتدوا إلى منتصف القرن الثالث الهجري وذلك بعد نهاية عصر الاحتجاج اللغوي بأكثر من مئة عام !
- لا خلاف في دخول طائفة من أهل البيت في مسمى المولدين الذين لا يستشهد بكلامهم مطلقا، وبإجماع أهل اللغة.

- بنو هاشم لهم سلالة نسب خرجت عن اسم العرب لانقسام العربية نسبا وبلادا ودارا.
- أكثر الإستراباذي من الاستشهاد بالكلام المنسوب إلى علي رضي الله عنه على النحو الذي ورد به كلامه في كتب أئمة الشيعة.
- لا يوجد أحد من النحاة تابع للرضي فيما استشهد به من أقوال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه.
- نهج البلاغة هو المرجع الأم للرضي فيما اعتمده من شواهد منسوبة لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه.
- نهج البلاغة كتاب خالٍ من الإسناد ولا يصح الاستشهاد برواياته حتى يثبت نقلها عن أمير المؤمنين بلفظها ومعناها، ودون ذلك خبط القناد.
- حاول متأخرو الشيعة تخريج روايات النهج والوقوف على أصلها، قاصدين المعاني لا الألفاظ؛ فلم يوفقوا على قدم ثابتة في إثبات المعاني بله الألفاظ !
- الشريف المرتضي جامع كتاب نهج البلاغة — أو المشارك في جمعه — متهم بالكذب، أو متهم تحديدا — فيما يعنينا — باختلاق هذا الكتاب والتزويد فيه بما يوافق الهوى.
- محققو أهل السنة يسقطون كتاب نهج البلاغة رأسا ويعدونه كتابا موضوعا.
- على التسليم بصحة نهج البلاغة لا يجوز اعتماد روايته في مقام الاحتجاج اللغوي.
- اختلف الناس في نسبة الرضي إلى مذهب الشيعة، والصحيح أنه شيعي.
- مرجعية الرضي في اعتماد أقوال أهل البيت لا مستند لها ولا مبرر لها إلا انتسابه إلى الطائفة الشيعية؛ مما يجعل هذا التوجه واهيا لا يصح اعتماده في هذا الباب البتة!

المراجع

- الاستبصار فيما اختلف من الأخبار، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، مطبعة النجف، النجف ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م.
- أعيان الشيعة، محسن الأمين (ت ١٣٧١هـ) - حققه وأخرجه حسن الأمين - دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، بلا تاريخ .
- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية الحراني (ت ٧٢٦هـ) - تحقيق محمد حامد الفقي - مطبعة السنة المحمدية، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠ م.
- ألف حديث في المؤمن، الشيخ هادي النجفي (ت ١٣٢١هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، إيران، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦ م.
- أمالي الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه، أبو جعفر المعزوف بـ (الصدوق) (ت ٣٨١هـ) ، المكتبة الإسلامية ، طهران، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤ م.
- أمالي الطوسي ، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، دار الثقافة للنشر، قم ، إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤ م.
- بحار الأنوار لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروت، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م.

• بحوث في فقه الرجال — من محاضرات السيد علي العلامة الفاني الأصفهاني (١٤٠٩هـ) — علي حسين مكي العاملي، مؤسسة العروة الوثقى، قم، إيران، ١٤١٤هـ — ١٩٩٤م.

• بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) — تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم — مطبعة عيسى الحلبي ، القاهرة ، ١٣٨٤هـ — ١٩٦٤م.

• تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ) — تحقيق د. بشار عواد معروف — دار الغرب الإسلامي ، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ — ٢٠٠٣م.

• تاريخ بغداد (أو مدينة السلام) ، الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بلا تاريخ .

• تفسير القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١هـ) — تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش — دار الكتب المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ — ١٩٦٤م.

• التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٧٧٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ — ١٩٨٩م.

• تهذيب الأحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد ، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ) — تحقيق حسن الموسوي الخراساني — دار الكتب الإسلامية ، طهران ، ١٣٩٠هـ — ١٩٧١م.

- == الاحتجاج بأقوال علي رضي الله عنه ==
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ) — تحقيق محمد نبيل طريفي وإميل بديع اليعقوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٨هـ — ١٩٩٨م
 - الرد النفيس على أباطيل عثمان الخميس، حسن بن عبد الله العماني، مركز الأبحاث العقائدية ، دار الكاتب العربي ، لبنان ، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ — ٢٠٠٣م
 - روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات ، محمد باقر الموسوي الخوانساري الأصبهاني (ت ١٣١٣ هـ) — تحقيق أسد الله إسماعيليان — نشر مكتبة إسماعيليان ، طهران ، توزيع دار المعرفة ، بيروت، ١٣٩٠ هـ — ١٩٧٠م.
 - شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، أبي الحسن نور الدين علي بن محمد بن عيسى (ت ٩٢٩هـ)، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ — ١٩٩٨م .
 - شرح كافية ابن الحاجب ، رضي الدين محمد بن الحسن الإستراباذي (ت ٦٨٦هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ — ١٩٨٥م.
 - صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (ت ٢٥٦هـ)، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ — ٢٠٠١م.
 - صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ) — تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي — دار إحياء التراث العربي، بيروت، هـ ١٩٥٤ م

- عيون الحكم والمواظ ، الشيخ كافي الدين أبو الحسن علي بن محمد الليثي الواسطي (ت أواخر ق ٦) — تحقيق الشيخ حسين الحسيني البيرجندي — دار الحديث، الطبعة : الأولى، ١٤١٨هـ — ١٩٩٨م.
- غرر الحكم ودرر الكلم، عبد الواحد بن محمد التميمي الأمدي (ت ٥٥٠هـ)، مكتب الإعلام الإسلامي، الحوزة العلمية بقم، إيران، الطبعة الأولى، ١٣٦٦ هـ — ١٩٤٧م.
- الفصول المهمة في أصول الأئمة، محمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤ هـ) — تحقيق : محمد بن محمد الحسين القائيني — لمؤسسة معارف إسلامي إمام رضا (ع)، قم، إيران، الطبعة الأولى — ١٤١٨ هـ — ١٩٩٨م.
- الكافي، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (ت ٣٢٩هـ) — تحقيق علي أكبر الغفاري — دار الكتب الإسلامية، الطبعة الثالثة، ١٣٨٨هـ — ١٩٦٨م.
- الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ) — تحقيق: عمر عبد السلام تدمري — دار الكتاب العربي، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ — ١٩٩٧م.
- لمع الأدلة في أصول النحو ، أبو البركات كمال الدين بن الأنباري (ت ٥٧٧ هـ) — تحقيق د. عطية عامر — المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٣٨٣ هـ — ١٩٦٣ م.
- مجمع البحرين ومطلع النيرين، فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٧ هـ) — تحقيق: السيد أحمد الحسيني — مكتبة المرتضوي، طهران، الطبعة الثانية، ١٣٦٥ هـ — ١٩٤٦م.

== الاحتجاج بأقوال علي رضي الله عنه ==

- مجموع الفتاوى، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس (ت ٧٢٦ هـ) — تحقيق : أنور الباز وعامر الجزار، دار الوفاء ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٦ هـ — ٢٠٠٥ م.
- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، أبو الحسين علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت ٣٤٦ هـ) — تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد — المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٠٨ هـ — ١٩٨٨ م.
- مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل، الميرزا حسين النوري المعروف بالمحدث النوري (ت ١٣٢٠ هـ) ، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ، قم، إيران، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ — ١٩٨٨ م.
- معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت ٣١١ هـ) — تحقيق : عبد الجليل عبده شلبي — عالم الكتب، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ — ١٩٨٨ م.
- من لا يحضره الفقيه، محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه، أبو جعفر المعروف بالصدوق (ت ٣٨١ هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي، التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم، إيران، الطبعة الثالثة، ١٤١٣ هـ — ١٩٩٣ م.
- منهاج السنة النبوية ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت ٧٢٦ هـ) — تحقيق : محمد رشاد سالم — جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ — ١٩٨٦ م

- ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) — تحقيق علي محمد البجاوي — دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٨٢ هـ — ١٩٦٣ م.
- نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ، محمد الطنطاوي (ت بعد ١٣٥٧ هـ)، مطبعة وادي الملوك ، القاهرة ، ١٣٧٤ هـ — ١٩٥٤ م.
- نهج البلاغة، السيد الشريف أبو الحسن محمد بن الحسين الموسوي الشهير بالرضي (ت ٤٠٦ هـ)، دار الهجرة للنشر، قم، إيران، بلا تاريخ.
- نهج السعادة في مستترك نهج البلاغة، محمد باقر المحمودي (ت ١٤٢٧ هـ)، مطبعة النعمان نجف ، ١٣٨٧ هـ — ١٩٦٧ م.
- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ)، مكتبة الدعوة الإسلامية شباب الأزهر، بلا تاريخ.
- وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤ هـ)، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ، قم ، إيران، بلا تاريخ.
- وصول الأخيار إلى أصول الأخبار، حسين بن عبد الصمد العاملي (ت ٩٨٤ هـ) — تحقيق: السيد عبد اللطيف الكوهكمري — نشر: مجمع الذخائر الإسلامية ، مطبعة الخيام ، قم ، إيران ، ١٠٤١ هـ — ١٩٨١ م.
- وفيات الأعيان في أنباء أبناء الزمن ، القاضي شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد البرمكي الأربلي الشافعي المعروف بابن خلكان (ت ٦٨١ هـ)، دار صادر ، بيروت، ١٣٩١ هـ — ١٩٧٠ م.

* * *

